ظاهرة المطابقة في الجملة الفعلية
قراءة لنماذج مختارةمن ديوان الكتابة بالنارلعثمان لوصيف
The matching phenomenon in the verbal sentence
Reading in the collection "writing with the fire" by Othman Lousif

أ. صباح بن سليطان
جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجز ئر)

ملخص:

الجملة هي موضوع علم النحو؛لأنه العلم الذي يدرس الكلمات في علاقاتها بعضها مع بعض فهو يهتم بما يعرض لها وما يطرأ عليها وعلى أجزائها، وقد نظر النحاة الى التركيب من خلال الوظيفة التي يؤديها كل عنصر من عناصره؛ حيث تخضع الجملة لنظام تجاوري ويستدعي هذا التجاور قر ائن مختلفة تحكم البناء الشكلي للكلمات،وتختلف هذه العناصر من حيث التذكير والتأنيث ومن حيث التثنية والجمع، وقد يحتوي العنصر الواحد على قرينة تدل على ما جاوره أو تشير إليه وهذا ما نسميه بالمطابقة في اللغة. فالنظام هو الذي يحكم اللغة والمطابقة جزء من هذا النظام فما أثر هذه الظاهرة؟ وما أهميتها في الجملة بصفة خاصة وفي الدرس اللغوي بصفة عامة ؟ ومامدى مطابقتها لنظام اللغة في الديوان؟.

الكلمات المفتاحية:الجملة،المطابقة،النوع،العدد.

Abstract:

The sentence is subject of grammar science, because it is the science that studies the words in their relationship with each other, as it is concerned with what is presented to it and what is being developed for it and its parts. The formal structure of words governs, and these elements differ in terms of remembrance ,and femininity and in terms of Deuteronomy and pluralism and one element may contain presumption indicating what he or she refers to or this refers to what we call conformity in the language because the system is the one that governs the

language and matching is part of this system what the effect of this phenomenon and what is its importance in the sentence in particular and the linguistic lesson in general and the extent to which it has been achieved and its conformity with the divan language system.

Key word: sentence, matching, type, the number.

تمهيد:

النحو باب واسع لما فيه من قواعد مختلفة متعددة، وقد كانت الدراسات اللغوية الحديثة تجمع بين علم التر اكيب وعلم الصيغ الصرفية تحت هذا الباب فأما علم التر اكيب فهو يعنى بترتيب الكلمات في جمل؛أي أنه يدرس الطرق التي تتألف بها الجمل من الكلمات، ويهتم بالمطابقة عدم المطابقة من حيث العدد، ومن حيث النوع وأما الشق الثاني فهو ما يعرف بالصرف.[1]

ولقد أدرك النحاة وجود ضروب من المطابقة في التركيب اللغوي فبدونها يضطرب معناه، وهذا ما يفقده خصيصة من أهم خصائصه "ودراستهم للمطابقة لا توجد منفصلة مستقلة عن دراستهم لغيره من خصائص الجملة العربية، بل هي مبثوثة بين جزئيات الأحكام النحوية، وما يتصل بها من قواعد وتعليلات".[2]

تعريف المطابقة:

جاء في لسان العرب "المطابقة المو افقة، والتطابق الاتفاق، وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما(...)وطابق بين قميصين لبس أحدهما على الأخر ،والسماوات الطباق سميت بذلك لمطابقة بعضها بعضا؛ أي بعضها فوق بعض(...) و المطابقة أن يضع الفرس رجله في موضع يده، وهو الأحق من الخيل، ومطابقة الفرس في جريه وضع رجليه مواضع يديه، والمطابقة مشي المقيد."[3]

فالمطابقة هنا هي التو افق والتماثل بين شيئين إذ يكونان على حذو واحد فلا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر لقوة الصلة التي تجمع بينهما. وجاء عند ابن رشيق القيرو اني: المطابقة عند جميع الناس جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر، ويكون الطباق بلفظين من نوع واحد.[4].

وليس بين التسمية اللغوية والتسمية الاصطلاحية أدنى مناسبة لأن المطابقة في اصطلاح رجال البديع هي الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في الكلام أو بيت شعري كالجمع بين اسمين متضادين من مثل :النهار والليل ،البياض والسواد، والحسن والقبح والشجاعة والجبن،و كالجمع بين فعلين متضادين مثل:يظهر ويبطن ويسعد ويشقى،ويعز ويذل،كذلك الجمع بين حرفين متضادين نحو قوله تعالى:(لها ما كسبت وعليها ما

اكتسبت)[5] ،فالجمع بين اللام وعلى مطابقة؛ لأن في اللام معنى المنفعة، وفي على معنى المضرة، وهما متضادان.[6]

وقد تكون المطابقة بالجمع بين نوعين مختلفين،[7] كقوله تعالى:[8] (كيف تكفرون بالله وكنتم أمو اتا فأحياكم)،فإن أحد المتضادين اسم وهو "فأحياكم".

ويختلف مفهوم المطابقة عند النحاة عما جاء عليه عند علماء البلاغة، فهي في نظرهم محصورة في مجموعة من الفصائل اللغوية، وهذا ما بينه تمام حسان في قوله:" تكون المطابقة فيما يلي: العلامة الاعر بية ، الشخص(التكلم ، الخطاب ،الغيبة)، العدد(الإفراد، التثنية و الجمع)،النوع (التذكير و التأنيث)، التعيين (التعريف والتنكير)".[9]

فاللغة تراعي هذا التو افق في الإعراب والتعيين والنوع والعدد إذ يجب مراعاة الفوارق الداخلية الأصيلة بين أطراف التركيب اللغوي، فثمة فارق بين التذكير والتأنيث والأمر نفسه بين الواحد والجمع وغيره من المسائل الأخرى "وتراعى المطابقة في أبواب نحوية كثيرة منها الفعل والفاعل ،والمبتدأ والخبر، الصفة والموصوف، الحال وصاحبها".[10]

ومجال المطابقة هو"الصيغ الصرفية والضمائر فلا مطابقة في الأدوات ولا في الظروف مثلا إلا النواسخ المنقولة عن الفعلية فإن علاقتها السياقية تعتمد على قرينة الإسناد، أما الخوالف فلا مطابقة فيهاإلا ما يلحق نعم من تاء التأنيث".[11]

والمطابقة في النوع والعدد والإعراب تدعمها حقيقة لاشك فيها وهي أن نقاط الاتفاق والاختلاف في هذه المسائل ليست شكلية سطحية و إنما هي مسائل جوهرية وحيوية في الأداء والتحصيل. و مدار هذه الظواهر اللغوية الجملة ومن المظاهر التي تمس الجملة الفعلية العدد و النوع.

1. العدد في اللغة العربية :

من اللغات ما يميز في الصيغة بين ما هو مفرد وما هو غير ذلك، متخذة صيغا بينهما" كمعظم اللغات الأوروبية ،ومثل هذه اللغات تلتقي في هذه الظاهرة اللغوية بالتقسيم المنطقي في الحديث عن الكم".[12]

أما ما يخص اللغات السامية "فإنها تتخذ على وجه العموم ثلاثصيغ للتفريق بين المفرد وغيره، فتستخدم صيغا للدلالة على الإفراد وأخرى للتثنية وثالثة للجمع وذلك لأن المفرد عين لا ضم فيها ولا اقتران ، والتثنية ضم مفرد الى مفرد، والجمع ضم غير المفرد الى المفرد، وهذه معان يقضي القياس إفرادها بصيغ مختلفة؛ أو بعبارة أخرى متفرقة".[13]

وهناك لغات سلكت مسلكا خاصا في تعبيرها عن المفرد وغير المفرد، وكان ذلك غير معهود،" فمن اللغات الإفريقية ما يتخذ صيغة للمفرد ،وثانية للمثنى وثالثة للمثلث ور ابعة للجمع؛ الذي يضم عند أصحاب هذه اللغة ما يزيد على الثلاثة".[14]

أما التثنية فتمتد جذورها إلى عصور مضت حتى الآن لكنها لم تكن ثابتة القواعد، وهذا واضح من خلال النصوص العربية الموثوق بصحتها، وهذا ما أكده إبراهيم السامر لي بقوله:"البحث في هذه الظاهرة اللغوية (التثنية) يؤدي أن نقول:إن المثنى مادة لغوية اختصت بها العربية ولزمتها في الفصيحة من أقدم العصور حتى الآن وقد تعدى الأمر هذه الفصيحة إلى اللهجات المحلية الدارجة."[15]

إلى جانب التثنية أولى النحاة كذلك اهتماما كبيرا بالجمع فهو ما دل على ثلاثة فأكثر، ولقد زادت اللغة العربية " فتفرق بين جمعي القلة والكثرة؛ أي ما هو أدنى من العشرة فما فوقها".[16]

ورغم أن التثنية والجمع يختلفان في الكم غير أنهما يتفقان في كونهما يدلان على الضم ، إذا التثنية والجمع شريكان من جهة الجمع والضم و إنما يفترقان في المقداروالكمية ، والغرض بالجمع الإيجاز والاختصار كما كان في التثنية كذلك، إذ كان التعبير باسم واحد أخف من الإتيان بأسماء متعددة ، وربما تعذر إحصاء جميع آحاد ذلك الجمع، وعطف أحدها على الآخر".[17]

ولقد وردت ظاهرة التثنية والجمع كثيرا في القرآن الكريم ، غير أن هناك خلافا قائما بين النحاة والقراء فيما يسمى بجموع التكسير، ومما جاء في القرآن الكريم من أمثلة الجمع قوله تعالى:(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)[18]، حيث قرأ الجمهور(من قرة) على الإفراد، بينما قرأ عبد الله و أبو الدرداء و أبو هريرة (من قرات) على الجمع بالألف والتاء، وهي رو اية عن أبي جعفروالأعمش.[19]

وورود المثنى في النصوص العربية قليل خصوصا في العربية القديمة ، وإلى ذلك أشار إبراهيم السامر لي:"إن العربية القديمة وحتى زمن القرآن وما بعد ذلك بقليل لم تكن تراعي المثنى من حيث ما يسمى في نظام تأليف الجمل

)، وعدم المراعاة ربما جاءت من أن المثنى داخل في حيز الجمع،"[20]ورغم ذلك نجد أن كلا من المثنى والجمع Syntax(

متداول في لغتنا العربية، والنصوص العربية دالة على ذلك" فالعربية الفصيحة قد حافظت على المثنى في الفترة التي تبعت الفترة الإسلامية ، وحين تقدم النثر العربي ونشأ ما اصطلح عليه النقاد والمحدثون بالنثر الفني، ومن أجل ذلك قل أن نجد هذا التردد في الأساليب الكلامية في هذه الفترة بين التثنية والجمع".[21]

1.1 العلامات الدالة على التثنية والجمع:

اهتم العرب بالعدد، فقاموا بتقسيم الاسم إلى مفرد ومثنى وجمع، وجعلوا لكل نوع علامة تميزه عن الآخر، والمفرد ليس فيه علامة، أما علامة المثنى تتردد بين الألف والنون والياء والنون، ولم تخصص سائر اللغات السامية ما عدا العربية الألف والنون والياء بحالة إعر لبية خاصة، فكتب النحو تقيد المثنى بالألف والنون في حالة الرفع ،والياء والنون في حالتي النصب والجر، فالتزام المثنى للألف والنون يعد أسلوبا في الكلام ، وهي تمثل قسما كبيرا من العرب، وهي بذلك مسألة من مسائل اللهجات الإقليمية، ويؤيد هذا حال المثنى في لهجتنا الحديثة الدارجة.[22]

وطر لق تثنية الأسماء مختلفة نذكر منها: إذا ثني الاسم المرفوع تزاد في آخره ألف ونون، وإذا ثنوا الاسم المجرور أو المنصوب زادوا في آخره ياء مفتوحا ما قبلها ونونا مكسورة؛ فالأصل في قولك: الزيدان ، زيد وزيد، ويدل على ذلك الشاعر إذا اضطر عاود الأصل كما في قوله:

كأن بين فكها والفك ** فأرة مسك تلعب في سك[23]

في هذا البيت أراد الشاعر "فكيها" فلما لم يتزن له رجع إلى العطف، وهو كثير في الشعر.

أما الجمع كما يعرف بأنه "صيغة مبنية للدلالة على العدد الز ئد على الاثنين والأصل فيه أيضا العطف كالتثنية،إلا أنهم لما عدلوا عن التكرار في التثنية طلبا للاختصار كان ذلك في الجمع أولى[24].

فالاسم يجمع جمعا سالما إذا كان الاسم المراد جمعه صحيحا زيدت الواو والنون أو الياء والنون عليه، أما إذا كان منقوصا حذفت ياءه وضم ما قبل الواو، وكسر ما قبل الياء فتقول: القاضون الداعون، أو القاضين، الداعين، وأصلها القاضيون ،الداعيون، والقاضيين و الداعيين.[25]

وإلى جانب العدد وما يحدث فيه من مطابقة بين عناصر التركيب نجد كذلك النوع، الذي بذل فيه النحاة جهدا و قرا لتوضيحه وبيان المطابقة فيه.

2. النوع في اللغة العربية:

إن التذكير والتأنيث ظاهرة أصيلة صاحبت تطور اللغات الإنسانية منذ عصور مضت، فلا يمكن أن يقوم مجتمع بشري من أفراد لهم الخصائص نفسها، كما لا يمكن أن يكون مجتمع ذكور أو مجتمع إناث فقط2

1.2. مفهوم التذكير والتأنيث:

إن التقابل وليس التشابه مبدأ ضروري لبقاء المجتمع البشري في انسجامه وتماسكه بالتقابل في الخصائص النفسية التي للذكورة، والأخرى التي للأنوثة ويتبع ذلك عدم التشابه في التكوين بين الذكر والأنثى. وجاء في قوله تعالى:[26] ﴿و إنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾.

ويعرف المؤنث على أنه" صيغة تدل على ذات تلد أو تبيض، وهذا هو المؤنث الحقيقي، فإذا قبل علامات التأنيث الثلاث ،التاء وألف التأنيث المقصورة و ألف التأنيث الممدودة كان مؤنثا حقيقيا لفظيا ومعنويا مثل فاطمة وليلى وحسناء".[27]أما المذكر فهو "ما يصلح أن تشير إليه بقولك: هذا، نحو هذا رجل و هذا باب".[28]

وتختلف اللغات فيما بينها بالنسبة إلى تقسيم أسمائها تذكيرا وتأنيثا " فثمة لغات كالفارسية فيها مذكر ومؤنث، ولغات مجموعة البانتو في جنوب إفريقيا يراعي المتكلم بها في صيغ الأسماء التفرقة بين الحي والجماد". ومن اللغات ما تقسم الأسماء إلى" مذكر ومؤنث ومحايد كاللغة الألمانية ".أما اللغة العربية فتقسم الأسماء إلى قسمين مذكر و مؤنث. وليس ثمة صعوبة في التمييز بين المذكر والمؤنث الحقيقي، ولكن الصعوبة تكمن في التفريق بين ما هو غير حقيقي منها، إذ لا سبيل لمعرفته إلا بالحفظ والسماع، فظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة العربية تسبب مشكلات أمام مختلف الطلاب من اللغات الأخرى، فتذكير الأسماء وتأنيثها في اللغة العربية يسبب مشكلة للأتراك ويتضح ذلك فيما يلي:

ففي اللغة العربية نقول: القمر طلع، الشمس طلعت،لكن اللغة التركية لا تعرف ذلك من خلال مقابلة الجمل السابقة للجمل في اللغة التركية على هذا النحو[29]:

القمر طلع، cuivesdogdo، الشمس طلعaydogdo

وهناك ألفاظ كثيرة على هذه الشاكلة، وقولهم العنق مؤنثة في الحجاز ومذكرة عند غيرهم ،فأهل الحجاز يؤنثون الطريق والصراط والسبيل والسوق والزقاق وتميم تذكر هذا كله، ويقول أبو زيد: أهل تهامة يؤنثون العضد وبنو تميم يذكرون ذلك.[30]

ومن الألفاظ التي يؤنثها الحجازيون ويجعلها القارئ ابن مسعود مذكرة. لأن قبيلته تفعل ذلك ما قرأه الجمهور في قوله تعالى[31] :(قل هذه سبيلي أعو الى الله على بصيرة أناومن اتبعني). فجاءت "هذه" مؤنثة ، "يقال: هذه السبيل ؛التي هي الدعوى إلى الإيمان والتوحيد، والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان، وقرأ ابن مسعود(قل هذه سبيلي)على التذكير وعلى لغة هذيل".[32]

ومما يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث لفظ (العروس) ،وفي قولك : رجل رقوب؛ أي لا يعيش له ولد، وامرأة رقوب وقولك : رجل عاقر وامرأة عاقر ، كذلك لفظ(زوج) يطلق على الرجل والمرأة ،إضافة إلى لفظ (عدل) تقول: رجل عدل و امرأة عدل.[33]

ومن الأسماء المؤنثة التي لا علامة فيها للتأنيث عقد لها ابن قتيبة بابا فيه" السماء، الأرض، القوس، الحرب، والذود من الإبل، ودرع الحديد، فأما درع المرأة هو قميصها فهو مذكر، والرحم، والجحيم، والنار[34].

أما إذا اجتمع مذكر ومؤنث غلبت المذكر فقلت لفلان خمسة بنين ؛ أي ذكورا و إناثا. وهناك ما يؤنث من جسد الحيوان ولا يجوز تذكيره وهو بغير علامة تأنيث كالساق والكبد والأذن والعين.

وللتفريق بين ما هو مذكر وما هو مؤنث وضعت علامات وضعت علامات للتفريق بين كل نوع، لكي لا يحدث هناك خلط ويفهم من الكلمة غير المعنى المقصود منها.

2.2. علامات التأنيث:

الكلام أسماء و أفعال وحروف والذي يؤنث منها الأسماء لكونها تدل على مسميات تكون مذكرة ومؤنثة فتدخل عليها علامات التأنيث للدلالة على ذلك. أما الأفعال فلكونها موضوعة على نسبة الحدث إلى فاعلها أو مفعولها نحو: ضرب زيد وضرب عمرو، فمدلول الأفعال الحدث، وهي مشتقة منه، والحدث جنس مذكر، أما لحاق العلامة بها نحو قولك قامت عائشة للصلاة، وتحرك بالكسر إذا وليها ساكن نحو قوله تعالى[35]:(إذ قالت امرأة عمران) ،فعلامة التأنيث هذه تلحق الفعل والمراد الفاعل.[36]

وفي ما يخص الحروف "فلأنها تدل على معنى تحتها و إنما يجيء لمعنى في الاسم والفعل، فالحرف كالجزء منها وجزء الشيء لا يؤنث".[37] ولم يجئ من الحروف مؤنث بعلامة التأنيث وهي التاء إلا ثلاثة أحرف وهي "لا، وثم ورب ، وقالت العرب :لا، ولات، وتقول في ثم ثمت ورب ربت، ومن ذلك :ربت أمر ضيق انفرج.[38]

والاسم المؤنث هو ما اشتمل على علامة تأنيث ظاهرة أو مقدرة، فالظاهرة منها نحو:عائشة، صحراء، ذكرى، والمقدرة نحو: سعاد، ولا يقدر من علامات التأنيث إلا التاء.[39]

وعلامات التأنيث كثيرة وللمؤنث خمس عشرة علامة "ثمانية في الأسماء وأربع في الأفعال ، وثلاث ،في الأدوات ،فثلاث في الأسماء الهاء والألف الممدودة والمقصورة ،والر بعة تاء الجمع في الهندات ، والخامسة الكسرة في أنت ، والسادسة النون في أنتن وهن، والسابعة التاء في أخت وبنت، والثامنة الياء في هذي ، والتي في الأفعال ، التاء الساكنة في قامت،

والياء في تفعلين، والكسرة في قمت، والنون في فعلن، والتي في الأدوات، التاء في ربت، وثمت و لات ، والهاء في هيهات، والهاء والألف في قولك: إنها هند قائمة.[40]وأشهر هذه العلامات التاء.

3.المطابقة بين الفعل وفاعله في العدد:

المطابقة بين الفعل والفاعل لا تتحقق بتثنية الفعل أو جمعه، ولكن بإلحاق علامة جمع أو تثنية لإبراز حالة الفاعل أن كان مثنى أو جمعا. فذهب جمهور العرب أنه إذا أسند الفعل إلى ظاهر مثنى أو مجموعا وجب تجريده من علامة تدل على التثنية أو الجمع ،فيكون كحاله إذا أسند إلى مفرد فنقول: قام الزيدان، وقام الزيدون ،وقامت الهندات كما تقول: قام زيد ، ولا تقول على مذهب هؤلاء: قاما الزيدان و لا قاموا الزيدون ، ولا قمن الهندات، فتأتي بعلامة في لفعل الر فع الظاهر على أن يكون ما بعد الفعل مرفوعا به ، وما اتصل به بالفعل من الألف والواو و النون حروفا تدل على تثنية الفاعل أو جمعه.[41]

و لغة توحيد الفعل هي الأفصح والى هذا أشار الناظم في قوله:

وجرد الفعل إذا ما أسندا ** لاثنين أو جمع كفازالشهدا[42]

وأوجب النحاة توحيد الفعل مع تثنية الفاعل وجمعه كما يوجب أيضا مع إفراده.

فالمطابقة إذا حصلت بين المسند والمسند إليه" وعلى هذه اللغة حكى البصريون عن طيئ وحكى بعظهم عن أزد شنوءة، نحو : ضربوني قومك وضربني نسوتك وضرباني أخواك[43]. وتعرف هذه اللغة بلغة أكلوني البراغيث وهي ثابتة في القرآن الكريم فجاء في قوله تعالى:[44] (وأسروا النجوى الذين ظلموا)،وقوله تعالى أيضا:[45](وعموا وصموا كثير).

وذكر على هذه اللغة في الشعر كثير من ذلك قول عمرو بن ملقط الجاهلي:[46]

ألفيتا عيناك عند القفا ** أولى فأولى لك ذا و قية

فألفيتا بالبناء للمجهول فعل ماض، و عيناك نائب فاعل، وألحق بالفعل علامة التثنية مع إسناده إلى الظاهر، ونائب الفاعل كالفاعل في الحكم. وقال أمية [47]:

يلومونني في اشتراء النخيـ ـل أهلي فكلهم ألوم

وأهلي فاعل يلومونني وألحق بالفعل علامة الجمع مع إسناده الى الظاهر.

وقد اختلفت مو قف النحاة من هذه الظاهرة التي تحملها هذه النصوص وأمثالها فبينما رفض بعضهم هذه النصوص لشذوذها، نجد فريقا آخر يقوم بتأويلها لتتفق مع القاعدة التي قررها من إفراد الفعل في جميع الحالات.[48]

فاللغة كما تعرف بلغة أكلوني البراغيث مستعملة سابقا، فالأصل في اللغة العربية أن تشمل المطابقة العددية المسند ثم بدأت بالتغيير وخصصت بعد ذلك بتأخر المسند إليه ، فالترتيب بين المسند والمسند إليه ضروري في المطابقة بينهما في العدد وهذا ما أكده

إبراهيم مصطفى في قوله: أرجح أن تلك المطابقة العددية، وشمولها كل مسند كانت الأصل في العربية ثم خصصت بالمسند إذا تأخر، فإنه يحتاج إلى أن تكون فيه إشارة الى المسند إليه المتقدم.[49]

ورغم ذلك نجد أن هذه اللغة أثرت كثيرا على اللغة العربية سابقا والدليل على ذلك ما ورد في نصوصنا العربية شعرها ونثرها، ويشير إلى ذلك إبراهيم مصطفى قائلا: وبقي من مطابقة المسند إذا تقدم أثر كبير في لغات اليمن أثر نادر في لغات سائر العرب ومنه أمثلة في القرآن الكريم ، وفي الحديث الشريف ، وفي شيئ من أشعار المضريين.[50]

3. صور المطابقة في الجملة الفعلية في العدد:

1.3 صور المطابقة بين الفعل والفاعل ونائبه في الإفراد:

في اللغة العربية الإفراد هو الأصل، أما التثنية والجمع فرعان له والدليل على أن الفرع هو الذي ينبغي أن تجعل فيه العلامة للأصل أنهم جعلوا علامة تثنية وجمع ولم يجعلوا علامة الإفراد لما كانت التثنية والجمع فرعين عن الإفراد. ونقف على ذلك في قول الشاعر:[51]

أومض الجرح فاحضني نبراسه ** في الدياجير وارقبي أعراسه

فالجملة الفعلية مؤلفة من الفعل الماضي أومض، والفاعل الجرح ، وتستوقفنا نماذج على هذا النحو التي فيها مطابقة بين الفعل والفاعل في الإفراد و دلالة الفعل ماضوية ، ونقف عليها في قول الشاعر:[52]

يمر الربيع بين الضحايا ** مستنيرا مجررا أغراسه

جاءت الجملة الفعلية يمر الربيع مؤلفة منة الفعل المضارع المفرد يمر والفاعل الربيع. ويستوقفنا قول الشاعر:[53]

لا يرعك الظلام عندك نور ** قد غزلنا بدمعنا أقباسه

فجملة يرعك الظلام فعلية مصدرة بنهي الفعل فيها مفرد كذلك الفاعل، والغرض الذي نلمسه في هذه الجملة الاستئناس ومن الشواهد التي حصلت فيها مطابقة بين الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل نقف عندها في قول الشاعر.[54]

هذه لحظة القيامة هيا نفخ الصور مزقي أكفاني

فجملة نفخ الصور مؤلفة من الفعل الماضي المبني للمجهول نفخ ونائب الفاعل الصور والمطابقة واضحة بينهما في الإفراد. الشئ نفسه في قول الشاعر:

أنا أحبكم لكي...يمحى السواد

ويخلع الحداد

ويعشب الرماد[55]

يتضح من الأمثلة السابقة حصول مطابقة بين الفعل والفاعل أو نائبه في الإفراد سواء كان الفعل ماضيا أو مضارعا مبنيا للمعلوم أو المجهول . الفعل لا يتعدد أو يجمع والسر في ذلك دلالته على الحدث ، وهو معنى مجرد لا يقبل التعدد، و إنما هو الدليل على القليل والكثير وهذا ما وضحه السيوطي في قوله:" وسبب ذلك أن الفعل مدلوله الجنس وهو و قع على الكثير و القليل، ألا ترى أنك تقول: ضرب زيد عمرا، ويمكن أن يكون الضرب مرات، فهو إذا دليل على القليل والكثير".[56]

فالنحاة العرب يؤكدون عدم وجود مطابقة بين الفعل والفاعل ، فيضل الفعل مفردا وإن كان الفاعل مثنى أو جمعا و إنما قالت العرب: قال قومك وقال أبوك، اكتفوا بما أظهروا، ومن أن يقولوا : قالا أبواك، وقالوا قومك، فحذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا".[57]

ولقد اتفقت نصوص الجملة الفعلية في شعر عثمان لوصيف مع مذهب جمهور النحاة. وورد من هذه النصوص نموذج واحد أسند فيه إلى المثنى الظاهر ونقف عليه في قول الشاعر.[58]

أنا صاعد تتحرق في مقلتي المياه
أنا صاعد حيث يلتحم العاشقان

فجملة يلتحم العاشقان جاء فيها الفعل مفردا مع أن الفاعل مثنى وهذا هو الأصل في اللغة العربية.

أما ما أسند إلى الجمع، ونقف عليه في قول الشاعر:[59]

لفنا لفنا وللم خطانا ** بعثرتنا الزو ابع الكناسة

الجملة الفعلية بعثرتنا الزو ابع مؤلفة من الفعل بعثر، فاعله جمع تكسير ، وهذا النموذج كثير في الديوان،[60] وورد الفعل مسندا الى الجمع المؤنث السالم، ونقف عليه في قول الشاعر:[61]

يأتون عبر خطوهم تنفرط النجوم
من زهوهم ويرتمي الأفق
وتعشب الساحات والطرق

فالجملة الفعلية تعشب الساحات ليس فيها مطابقة في الجمع.

4.المطابقة في الجملة الفعلية من حيث النوع:

ترتبط بالنوع مجموعة من المصطلحاتمنها التأنيث الحقيقي والمجازي اللفظي والمعنوي وهي الممثلة للمطابقة بين الفعل . والتأنيث الحقيقي أقوى من التأنيث اللفظي؛ "لأن المؤنث الحقيقي يكون تأنيثه من جهة اللفظ والمعنى من حيث كان مدلوله مؤنثا ،

والغير حقيقي شيء يختص باللفظ من غير أن يدل على معنى مؤنث تحته، فكان التأنيث المعنوي أقوى لما ذكرناه".[62]

ويعبر عن النوع في الجملة الفعلية لحاق تاء التأنيث ونون النسوة ،ة أما التاء هنا للدلالة على تأنيث الفاعل ، أما نون النسوة فيها للدلالة على جمع المؤنث. وأن كان الفاعل مؤنثا لحق عامله تاء التأنيث لساكنة، إذا كان فعلا ماضيا، أو المتحركة إن كان وصفا، فتقول قامت هند، وزيد قائمة أمه.[63]وحكم الفاعل التأخر عن فعله إذ يجب تذكير الفعل طبقا للقاعدة التي تقول إن الأصل هو التذكير في غير المواضع التي يجب فيها تأنيثه أو يجوز.[64]

وأوجب التأنيث للفعل لئلا يتوهم أن هناك فاعلا مذكرا منتظرا ، ومما حذفت منه التاء لضرورة الشعرية قول الشاعر:[65]

فلا مزنة ودقت ودقها ** ولا أرض أبقل إبقالها

وكان الأصل أبقلت ،لأن الفاعل ضمير مؤنث متصل، ولكنه حذف التاء للضرورة التي يقتضيها الشعر، وهذا ما يراه فريق كبير من النحويين. ولعل كل هذا الخلاف يعود إلى نوع من التأثير اللهجي إذ نلحظ انتساب قائل هذا البيت إلى طيء، وهي القبيلة التي تنسب لها ظاهرة المطابقة في الإفراد والتثنية والجمع ، ولعل هذه القبيلة أيضا تتسم بعدم المطابقة في التذكير ونحوه.[66]

وقد ترد التاء محذوفة من الفعل المسند إلى المؤنث الحقيقي من غير فصل وهو قليل جدا، وهو ما حكاه سيبويه عن العرب في قوله: قال قلانة. وفي مقابل تاء التأنيث نجد علاقات أخرى تعتبر ضمائر كنون النسوة ، وياء المخاطبة التي تلحق الفعل المضارع، فحروف المضارعة تشارك الضمائر في الدلالة على الشخص والعدد والنوع. وتاء التأنيث حرف لا محل له من الإعراب في مقابل ضمائر كنون النسوة وياء المخاطبة اللاحقة للفعل المضارع، من أجل ذلك خصت المطابقة التاء لحرفيتها دون غيرها.[67]. ولتوضيح المسألة لدينا مثال: قامت هند- هندقامت

قامت الهندان ــ الهندان قامتا ، قامت الهندات ــ الهندات قمن

في هذه النماذج نلاحظ أن التاء لا تسقط في حالة التقديم والتأخير، باعتبار التاء للتأنيث ، ومن أبشع اللحن في اللغة العربية تذكير المؤنث وتأنيث المذكر ،وهذا النوع من اللحن يكاد يكون خاصا بغير العرب ، وقد شعر به الفصحاء إبان ظهوره وشرعوا في علاجه. وقد اعترف برجستراسر بذلك قائلا: التأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو ، ومسائلهما عديدة مشكلة، ولم يوفق المستشرقون إلى حلها حلا جازما مع صرف الجهد الشديد في ذلك.[68]

وتختلف الكلمات من حيث التذكير والتأنيث، وإن كلمة ما قد تكون مذكرة في لغة ومؤنثة في لغة أخرى ،فالخمر مؤنثة العربية ، وهي اسم مذكر في الألمانية ، والقمر مؤنث في العربية ومذكر في الفرنسية، والصدر مذكر في العربية ومؤنث في الألمانية، وكثيرا ما يؤدي هذا الاختلاف إلى أخطاء في الترجمة.[69]

أما ما يخص أفعال المدح والذم كما سماها النحاة وهي عند بعض اللغويين أفعال شاذة، لأنها لم تنهج السبل التي سلكتها الأفعال فهي أفعال لم تتطور، بل ظلت على جمودها وقالبها القديم.[70] وقد أجاز العلماء التذكير والتأنيث في نعم وبئس إذا كان فاعلهما مؤنثا حقيقيا، فيسند إليهما نحو : نعم المرأة ،وبئس المرأة، وتقول نعم المرأة هند، وبئس المرأة هند، والأول أفصح.[71]

5. صور المطابقة بين الفعل والفاعل أو نائبه في النوع:

1.5ـالمطابقة في التذكير: التذكير هو الأصل، والتأنيث فرع لأنه احتاج الى علامة بدليل أنك تقول قائم في المذكر وقائمة في المؤنث . ونقف في قول الشاعر:

لملم الغسق

ضلاله[72]

فجملة لملم الغسق، جاء الفعل بها ماضيا مذكرا والفاعل فيها مذكرا أيضا.

2.5ـالمطابقة في التأنيث:

يكون التأنيث بإلحاق علامة التأنيث في آخره إذا كان الفعل ماضيا وهي تاء التأنيث الساكنة أو التاء في أول المضارع ونقف عند قول الشاعر:[73]

والتحمنا فرجرجت فورة الموج ** وهبت عواصف الخلجان

فالجملة الفعلية رجرجت فورة الموج ، فيها مطابقة في التأنيث والدليل على ذلك لحاق تاء التأنيث الساكنة في آخر الفعل الماضي ولحقت الفعل الماضي لأن الفاعل جاء مؤنثا، والفاعل في هذا المثال مؤنث تأنيثا مجازيا.

3.5 صور العدول عن المطابقة في النوع:

إذا فصل بين المسند والمسند الفاصل من مفعول أو ظرف أو جار ومجرور جاز سقوط التأنيث، ونقف على ذلاك في قول الشاعر:

ما تبقى منا سوى ذكريات ** فاضمحلت كراسة كراسة[74]

فجملة ما تبقى منا سوى ذكريات، الفعل فيها ماض، ولم تلحقه تاء التأنيث لوجود فاصل هو منا سوى، فلو أولنا الجملة نقول: ما تبقت ذكريات منا.وعدم لحاق التاء في اللغة العربية جائز في هذه الحالة لوجود فاصل.

فالمطابقة في الإفراد بلغت شواهدها 101، والمطابقة بين الفعل والفاعل الذي جاء مفردا لها واحد وخمسين شاهد، أما الفاعل الذي جاء على صيغة الجمع(جمع تكسير) الذي يعامل معاملة المفرد بلغت شواهده أربعة وأربعين شاهدا ، وردت ستة شواهد الفاعل فيها جاء اسما للجنس.

أما المطابقة في النوع بلغت شواهدها مائة وواحد، فالمطابقة في التذكير لها اثنين وأربعين شاهدا. أما المطابقة في التأنيث بلغت شواهدها تسعة وخمسين. وفيما يخص العدول عن المطابقة لها شاهد واحد.

خلص البحث إلى أن النحاة استطاعوا إدراك وجود ظاهرة من أبرز الظواهر اللغوية هي المطابقة، كما أدركوا بعض الحقائق التي تمس العلاقات المختلفة التي تربط الكلمات أو المفردات بعضها مع بعض داخل التركيب، التي تمثل صورا من التو فق والتماثل.

و انتهى البحث إلى أن النظام النحوي يقدم مجموعة من الوسائل أو التقنيات اللغوية التي تساعد الكاتب أو الشاعر لتركيب جملة، كما تتيح لهإمكانية التعبير عن المعنى الواحد باتخاذ طرق مختلفة.

إن إهمال المطابقة تذهب العلاقات التي تربط الكلمات، وتقضي على المراد من التعبير، فتلغي بذلك المعنى المقصود. فالمطابقة إذا تعين على إدراك العلاقات بين المتطابقين، ومن هنا نخلص إلى أن المطابقة قرينة لفظية.

الهوامش:

[1] ينظر بلقاسم دفة :في النحو العربي رؤية في المنهج ،الفهم ،التعليل والتحليل، دار الهدى،الجزائر،د.ط،2002-2003.ص 6

[2] علي أبو المكارم: الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب،القاهرة،ط2006،1،ص127.

[3] ابن منظور ،(مادة ط،ب،ق)دار صادر،بيروت،ط4،1997،157/1،156، وينظر الجوهري: مختار الصحاح(مادة ،ط،ب،ق)تحقيق احمد ابراهيم زهوة، دار زهوة،دار الكتاب العربي،1425هـ،2004،ص195.

[4] ينظرمحمد محمد طه هلالي: توضيح البديع في البلاغة،المكتب الجامعي الحديث،ط1997،1،،ص10

[5] البقرة/285

[6] ينظر عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية،علم البديع، دار الآفاق العربية،القاهرة،ط1420،1هـ،2000،ص59،ينظرفضل حسن عباس:البلاغة فنونها وأفنانها،علم البديع،دار الفرقان،ط2،2004،282/9،279

[7]ينظر المرجع نفسه،الصفحة نفسها

[8] البقرة/28

[9] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب،ط1425،1هـ2004،ص192

[10] علي أبو المكارم: الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب،القاهرة،ط2006،1،ص127
[11] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها،ص112
[12] علي أبو المكارم:الظواهر اللغوية في التراث النحوي،ص192
[13]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[14]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[15]إبراهيم السامرائ:فقه اللغة القارن قارن، دار العلم للملايين، بيروت ، ط1978،1،ص27
[16] علي أبو المكارم : الظواهر اللغوية في التراث النحوي،ص193
[17] ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، قدمله ووضح فهارسه وهوامشه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ، بيروت ،المجلد الثالث،ط1422،1هـ،3،213/2001
[18] السجدة/17
[19]ينظرالصالح لحلوح: الظواهر الصرفية للبنية اللفظية ،مجلةالمخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، بسكرة ،ع2006،3،ص256
[20]إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن،ص83
[21]المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[22] ينظرالمرجع نفسه، ص86
[23] ابن عقيل: شرح ابن عقيل تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت،ط51417هـ، 1997،الهامش ،63/1
[24] ابن الأنباري: أسرار العربية، تحقيق فخر صالح قرارة، دار الجيل، بيروت، ط1415،1هـ،1995،ص64
[25] سبب الحذف التقاء الساكنين
[26] النجم /45
[27] صبري المتولي: علم الصرف العربيأصول البناء وقوانين التحليل، دار غريب،القاهرة،د.ط،2002،ص50
[28] إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في المذكر والمؤنث، دار الكتب العلمية ، بيروت،لبنان،ط1414،1هـ،1994،ص61
[29] ينظر زهران البدراوي: في علم اللغة التقابلي دراسات نظرية، دار الآفاق، القاهرة،ط1428،1هـ2008،ص176
[30] ينظر صالح لحلوحي: الظواهر الصرفية لقراءة عبد الله بن مسعود، مجلة المخبرأبحاث في اللغة والأدب الجزائري،بسكرة ،ع2006،3،ص253
[31] يوسف /108
[32]صالح لحلوحي:الظواهر الصرفية لقراءة عبد الله ابن مسعود،ص253
[33] إميل بديع يعقوب:المعجم المفصل في المذكر والمؤنث، ص458.
[34]المرجع نفسه،ص460
[35]آل عمران /35
[36] ينظر عبد الستار عبد اللطيف: أساسيات علم الصرف، المكتب الجامعي الحديث،ط2،1999،97/2
[37] ابن يعيش: شرح المفصل،"353/3
[38]عمر الهرمي: المحرر في النحو،تحقيق منصور علي محمد عبد السميع، دار السلامة،المجلد الأول،ط1429،2هـ،2008
[39] ينظر عبد الستار عبد اللطيف: أساسيات علم الصرف،91/2
[40]السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،د.ط،د.ت،159/2،158
[41] ينظر ابن عقيل: شرح ابن عقيل،370/1
[42] ابن الناظم:شرح ألفية ابن مالك، حققه وضبطه عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت،1419هـ،1998،ص220
[43] خالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، تحقيق محمد ياسل العيون السود، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان،ط1421،1هـ،1،403/2000،404
[44] المائدة /7
[45] الأنبياء/3
[46] المرجع نفسه،404/1
[47]المرجع نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها

[48] عليأبو المكارم: الظواهر اللغوية في التراث النحوي،ص211
[49] ينظر إبراهيم مصطفى: إحياء النحو،ص59،60
[50]ينظر المرجع نفسه،الصفحة نفسها
[51]عثمان لوصيف: الكتابة بالنار، دار البعث، قسنطينة ، الجزائر،ط1430،1هـ 1982، ص33
[52] الديوان ص42
[53] الديوان ص50
[54] الديوان ص39
[55] الديوان ص42
[56] السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو،322/1
[57] سيبويه: الكتاب،تحقيق وشرح عبد السلام هارون،الجزء الأول، بيروت،ط2،37/1،36
[58] الديوان ص 25
[59] الديوان ص37
[60] الديوان ص63
[61] الديوان ص63
[62] ينظر ابن يعيش: شرح الفصل،358/3
[63]ينظر ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى،قدم لهإميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية،بيروت، ط1420،2هـ،، 2000،ص169
[64] علي أبو المكارم: الظواهر اللغوية في التراث النحوي،ص212
[65] ابن يعيش: شرح المفصل،361/3
[66]ينظر علي أبو المكارم : الظواهر اللغوية في التراث النحوي،ص212
[67]ينظر ملاوي أمين:ظاهرة المطابقة في الجملة الفعلية بين التقنين والتفسير، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، بسكرة،ع3،2006،ص234
[68]ينظر برجستراسر: التطور النحو في اللغة العربية، أخرجه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجيي، القاهرة،1402هـ،1982،ص 12
[69] ينظر إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في المذكر والمؤنث،ص8
[70] ينظر تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها،عالم الكتب،ط1425،1هـ،2004،ص115
[71] ينظر ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، قدم له إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1420،2هـ،2000،ص169
[72] الديوان ص62
[73] الديوان ص50
[74] الديوان ص33